

خالد محمد القاضي

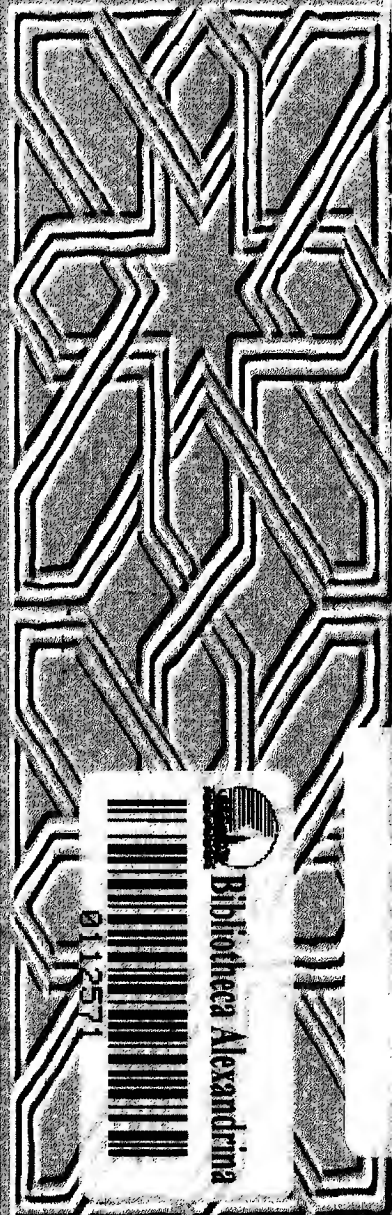
كتاب الرأية

مولد أمة

أضواء على خلق "رسول الإنسانية"



مركز الرأية للنشر والإعلام



0112571



Bibliotheca Alexandrina

خالد محمد القاضي

مولد أمة

« أضواء على خلق رسول الإنسانية »

مركز الراية للنشر والإعلام

سلسلة « كتاب الراية »
تصدر شهرياً عن مركز الراية

مركز الراية للنشر والإعلام
أسسها أحمد فكري عام ١٩٩٤

اسم الكتاب : مولد أمة
المؤلف : خالد محمد القاضي

كافة حقوق الطبع والنشر
هي ملك
لمركز الراية للنشر والإعلام

رقم الإيداع

٩٩/١٠٤٢١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«وإنك لعلى خلق عظيم»

صدق الله العظيم

إهداء

والسرور...
الذات ،

إلى

روح فضيلة العارف بالله
الشيخ محمد أحمد رضوان
تقديراً لاجتهاده المخلص
في السيرة النبوية العطرة

و

إلى توأم والدي الروحي الذي لم تلده أمه ...
المستشار محمد راشد متولي

أهدي هذا الكتاب ..

خالد

مقدمة

هذه مكة تستقبل وليداً رضى به أهلها وعمهم البشر والسرور...
يتيماً صاحبت ولادته إرهابات وإشارات إلى أن أمة جديدة قد ولدت ،
سيغير بها وجه التاريخ وسترتفع بها الإنسانية، وترقى وتزخر بالعلوم
والمعارف، بعد أن سيطرت عليها البداوة، وفشت فيها الأخلاق الذميمة،
ومكنت من قلوبها الخرافات والأساطير، واستعبدتهم الأوثان وما يحيط
بها من أوهام فدانوا بها وخضعوا لعادات وتقاليد وأخلاق غير مرضية بل
كانت مردية.

فجاءت ولادة هذا اليتيم نوراً أضاء حياتهم واهتدت به أفئدتهم،
عاش بينهم فى طهر ونقاء وصفاء.

ذالكم رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، ولدت بولادته أمة
تخلت بقيادته عن الفرقة والشتات والخصام والقتال إلى وحدة تقود
وتسود.

جاء هذا المولود الكريم داعياً إلى الله على فترة من الرسل فكان دينه
الإسلام دعوة للسلام والرحمة والوئام، يشيع كل ذلك فى أقواله وأفعاله، فهو
دعوة لعطف الآباء على الأبناء وحث للأبناء على البر بالآباء حتى تكون
الأسرة وحدة صالحة فى المجتمع يقوى بها، ويشند عوده، وترتفع فيه دعوة
الحق والعدل والتعاطف والتساند فى الملأ وفى العباد. كانت دعوته إليها

رفقاً فالدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، وإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى، كانت دعوته أمناً وأماناً، محذرة محرمة للغدر والخيانة، داعية إلى السلم والسلام والتسامح والصفاء فهو بأتمه رؤف رحيم يخفف آلام المصابين، يعود المريض ويواسي الحزين ويأسو الجراح، فهو رفيق بالإنسان بل وبالحيوان، قال الله تعالى : (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) ^(١)

ولقد تواصلت سيرته ومسيرته تتذاكرها أمته، فله في كل ربيع مولد وعلى كل فم وقلم ذكر وفي كل قلب سليم مكان، كيف لا وذكره أمر من الله سبحانه وتعالى مقروناً باسمه جل وعلا، فهذه كلمة التوحيد التامة : (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله).

وهذا هو ربه كرمه وأمر بالصلاة عليه فقال : (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً) ^(٢)

جاء بالإسلام ديناً ألف به بين القبائل المتنازعة فكان ولادة أمة بعد الأيام المروعة والعادات المفزعة التي اتخذت من العرف دولة، ومن الجاهلية حضارة ومن الضعف قوة وغلبة وعزة.

كان أمياً علمه الله وأعز له إلا من حماية الله، قال تعالى : (والله يعصمك من الناس) ^(٣).

(١) سورة الأنبياء الآية ١٠٧

(٢) سورة الأحزاب الآية ٥٦

(٣) سورة المائدة الآية ٦٧

لقد استجاب لدعوته صنوف من الناس اختلفت منهم الصفات والطباع، يختلفون فى رأى ولكنهم عند الحق يلتقون وصدق الله.

وإن ميلاد سيدنا رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم كان مطلع النور للعالم وكان ميلاد أمة ودولة وحضارة.. فبدل شرك الناس توحيداً وظلمهم عدلاً وظلامهم نوراً وهداية فقد أرسله الله تعالى للناس كافة هادياً ومبشراً قال تعالى : (إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً * وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً) ^(١).

ومحمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين ذكى الله لسانه فقال : (وما ينطق عن الهوى) ^(٢) وزكى الله قلبه فقال : (ما كذب الفؤاد ما رأى) ^(٣) وذكى بصره فقال : (ما زاغ البصر وما طغى) ^(٤) وزكاه كله فقال : (وإنك لعلى خلق عظيم) ^(٥) وصدقت عائشة رضى الله عنها عندما سئلت عن خلقه صلى الله عليه وسلم إذ قالت : (كان خلقه القرآن) واستطاع صلى الله عليه وسلم بخلقته أن يغزو الأراضين فدانت له من أدناها إلى أقصاها.

(١) سورة الأحزاب الآية ٤٥ و ٤٦

(٢) سورة النجم الآية ٣

(٣) سورة النجم الآية ١١

(٤) سورة النجم الآية ١٧

(٥) سورة القلم الآية ٤

وفى هذا الكتاب نلقى أضواء على خلق رسول الإنسانية "محمد" صلى الله عليه وسلم من خلال ثمانية فصول :

الفصل الأول : نسبه صلى الله عليه وسلم وولادته ورضاعته.

الفصل الثانى : خلق الرسول صلى الله عليه وسلم قبل البعثة.

الفصل الثالث : اشتراكه صلى الله عليه وسلم فى بناء الكعبة

الفصل الرابع : اختلاؤه فى غار حراء.

الفصل الخامس : محمد وآل بيته.

الفصل السادس : زهد محمد.

الفصل السابع : محمد وأصحابه.

الفصل الثامن : محمد وأعدائه.

والله أسأل أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه تعالى، ومحبةً فى رسول الله عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام.

خالد محمد القاضى

وكيل أول النيابة

بمكتب النائب العام

القاهرة فى ربيع الأول ١٤٢٠هـ

الفصل الأول

نسبه صلى الله عليه وسلم وولادته ورضاعته

١- هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. وعدنان من ولد إسماعيل نبي الله ابن إبراهيم خليل الله عليهم السلام.

وقد اختاره الله تعالى من أزكى القبائل وأفضل البطون وأطهر الأصلاب فما تسلل شيء من أدران الجاهلية إلى شيء من نسبه صلى الله عليه وسلم.

روى مسلم بسنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى هاشماً من قريش واصطفاني من بني هاشم).

٢- أما ولادته صلى الله عليه وسلم فقد كانت في عام الفيل وهو العام الذي حاول فيه أبرهة الأشرم غزو مكة وهدم الكعبة فردّه الله عن

ذلك بالآية الباهرة التي وصفها القرآن وكانت على الأرجح يوم الإثنين
لإثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول.

٣- وقد ولد يتيما فقد مات أبوه عبد الله وأمه حامله لشهرين
فحسب فعنى به جده عبد المطلب واسترضع له - على عادة العرب إذ
ذاك - امرأة من بنى سعد بن بكر يقال لها حليلة بنت أبي ذؤيب.

وقد أجمع رواة السيرة أن بادية بنى سعد كانت تعاني إذ ذاك سنة
مجذبة قد جف فيها الضرع ويس الزرع، فما هو إلا أن صار محمد صلى
الله عليه وسلم فى منزل حليلة واستكان إلى حجرها وتديها حتى
عادت منازل حليلة من حول نخبائها ممزعة خضراء فكانت أغنامها تروح
منها عائدة إلى الدار شباعا ممتلئة الضرع.

٤- وقد حصلت أثناء وجوده صلى الله عليه وسلم فى بادية بنى
سعد حادثة شق الصدر التى رواها مسلم^(١) وتعد هذه الحادثة من
ارهاصات النبوة ودلائل اختيار الله إياه لأمر جليل وقد رويت هذه
الحادثة بطرق صحيحة وعن كثير من الصحابة، منهم أنس بن مالك فيما
يرويه عن مسلم فى صحيحه : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه
جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه، فاستخرجه،
فاستخرج منه علة فقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله فى طست من

(١) راجع قصة استرضاعه فى بادية بنى سعد وحر شق صدره فى سيرة ابن هشام ١٦٤/١ وأطهر صحيح

ذهب لماء زمزم ثم أعاده إلى مكانه وجاء الغلمان يسعون إلى أمه.
مرضعته - ينادون أن محمداً قد قتل فاستقبلوه وهو ممتقع اللون).

هـ - ليست الحكمة من هذه الحادثة - والله أعلم - استئصال غدة الشر في جسم رسول الله صلى الله عليه وسلم. إذ لو كان الشر منبعه غدة في الجسم أو علقه في بعض أثنائه لأمكن إن يصبح الشرير خيراً بعملية جراحية، ولكن يبدو أن الحكمة هي إعلان أمر الرسول صلى الله عليه وسلم وتهيؤه للعصمة والوحى منذ صغره بوسائل مادية ليكون أقرب إلى إيمان الناس به وتصديقهم برسالته. إنها إذاً عملية تطهير معنوى ولكنها اتخذت هذا الشكل المادى الحى ليكون فيه ذلك الإعلان الإلهى بين أسماع الناس وأبصارهم.

الفصل الثانى

خلق الرسول صلى الله عليه وسلم قبل البعثة

١- كانت حياة النبى صلى الله عليه وسلم قبل البعثة حياة فاضلة شريفة... لم تُعرف له فيها هفوة ولم تحص عليه فيها زلة.. لقد شب رسول الله يحوطه الله سبحانه وتعالى بعنايته ويحفظه من أقدار الجاهلية لما يريد له من كرامته... ورسالته حتى صار أفضل قوم: مروءة وأحسنهم خلقاً وأكرمهم حسباً، وأحسنهم جواراً وأعظمهم حلماً وأصدقهم حديثاً وأعظمهم أمانة وأبعدهم من الفحش والأخلاق التى تدنس الرجال تنزهاً له وتكرماً.

٢- ولقد كان فى المجتمع العربى حنيفيون وحدوا الله ودعوا إلى توحيده وكان هناك كرماء أوفياء وكان هناك من عرفوا بالعفة وطهارة الذيل والبعد عن المآثم والتنزه عن الفواحش، ولكن كان عزيزاً جداً أو تجدد فى هذه البيئة إنساناً جمع الله فيه كل هذه الصفات وغيرها مثل ما جمع فى النبى محمد صلى الله عليه وسلم. فقد كان يمتاز على كل من يعيشون فى بيئته بطابع خاص، لا يشاركه فيه غيره، هو طابع الكمال فى كل شئ، ذلك أن الله جلت قدرته تولاه منذ طفولته بالحفظ والصيانة

فعصمه من عبث الجاهلية وفسادها وطهره من أدرانها وخبائثها وكان صورة ماثلة للكمال... ونموذجاً حياً للفضيلة فى كل ما يأتى وما يدع... إذ كان شاباً فيه حماسة الشباب ودوافعه ونزعاته ولكنه لم يكن يتنزل إلى ما يتنزل إليه الشباب من عبث وهو ولم يكن يرضى لنفسه أن يهبط إلى المستوى الذى يندس الرجولة أو ينافى الكرامة.. كان فى مكة بيوت كثيرة للهو فيها الخمر والميسر وفيها الغناء والسمر وفيها العبث والمجون وفيها كل ما يرضى جموح الشباب من لذة ومتاع، وكان للشباب فى تلك البيوت مآرب شتى تهفو إليها نفوسهم وتسعى لها أرجلهم إلا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم فقد عزف بطبعه عن كل ذلك وتعالى بنفسه عن مواطن الريبة ومواقع الخسة، فمارئى يوماً قط لاهياً ولا عابثاً ولا أثماً ولا فاحشاً ولا معاقراً حمراً ولا قمرأً^(١)

ولامتدنساً فى نزوة من نزوات الشباب الجامحة كالجرى وراء الغيد الكواعب^(٢) بل كان سمته الجدد والعفاف.

٣- قال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن نفسه :

(ما هممت بشئ مما كانوا فى الجاهلية يعملونه غير مرتين.. كل ذلك يحول الله بينى وبينه، ثم ما هممت به حتى أكرمنى الله بالرسالة، قلت ليلة للغلام الذى يرعى معى بأعلى مكة لو أبصرت لى غنمى حتى

(١) قمرأً : القمار.

(٢) العيد الكواعب : البنات الحسنات.

أدخل مكة وأسر بها كما يسمّر الشباب، فقال : أفعل، فخرجت حتى إذا كنت عند أول دار بمكة سمعت عزفا فقلت : ما هذا ؟ فقالوا عرس فجلست أسمع، فضرب الله على أذني ففتمت فما أيقظني إلا حر الشمس، فعدت إلى صاحبي فسألني فأخبرته، ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك ودخلت مكة فأصابني مثل أول ليلة، ثم ما هممت بعده بسوء^(١) صدق رسول الله.

فهذا الحديث يعبر عن حفظ الله لرسوله من كل سوء منذ صغره وصدر شبابه ونستطيع أن نستخلص منه حقيقتين :

الأولى : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان متمتعاً بخصائص البشرية كلها وكان يجد في نفسه ما يجده كل شاب من مختلف الميولات الفطرية التي اقتضت حكمة الله أن يجبل عليها لناس، فكان يحس بمعنى السمر واللهو، ويشعر بما في ذلك من متعة وتحدثه نفسه لو تمتع بشئ من ذلك كما يتمتع الآخرون.

الثانية : أن الله عز وجل قد عصمه مع ذلك عن جميع مظاهر الانحراف وعن كل مالا يتفق مع مقتضيات الدعوة التي هيأه الله لها، فهي حتى عندما لا يجد لديه الوحي أو الشريعة التي تعصمه من الاستجابة لكثير من رغائب النفس، يجد عاصماً آخرأ خفياً يحول بينه

(١) رواه ابن الأثير ورواه الحاكم عن علي بن أبي طالب وقال عنه صحيح على شرط مسلم ورواه الطبراني من حديث عمار بن ياسر.

وبين ما قد تتطلع عليه نفسه مما لا يليق بمن هيأته الأقدار لتتميم الإحلاق وإرساء شريعة الإسلام.

وفى اجتماع هاتين الحقيقتين لديه صلى الله عليه وسلم دليل واضح على أن ثمة عناية إلهية خاصة تسيره وتأخذ بيده بدون وساطة الأسباب العادية كوسائل التربية والتوجيه.... ومن ذا الذى يوجهه فى طريق هذه العصمة وكل الذين حوله من أهله وبنى قومه وجيرانه غرباء عن هذا الطريق ضالون عن هذه الوجهة ؟.

لا جرم إذاً أن هذه العناية الإلهية الخاصة التى جعلت لشباب النبى محمد صلى الله عليه وسلم طريقاً دقيقاً من النور يمحى عباب ظلام الجاهلية، من أعظم الآيات الدالة على معنى النبوة التى خلقه الله لها وهىء له حمل أعبائها وعلى أن معنى النبوة هو الأساس فى تكوين شخصيته واتجاهاته النفسى والفكرى والسلوكى فى الحياة.

وكان من اليسير أن يولد الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم وقد انتزعت من نفسه كل هذه الدوافع الغريزية إلى التمتع بالشهوات والأهواء، فلا يجد فى نفسه ما يدفعه أصلاً إلى ترك أغنامه أمانة عند زميله ليهبط إلى بيوت مكة فيبحث بينها عن قوم يسمرون أو يلهون ويمرحون. لكن الرسول كان يتفرد بصفات أخلاقية سامية فريدة، وإذا فليس ثمة ما يدل على العناية الخفية التى تصرفه عما لا يليق رغم وجود الدوافع الغريزية نحوه، وإنما أرادت حكمة الله عز وجل أن يبتدى للناس من هذه

العناية الإلهية بالرسول الكريم ما يسهل عليهم أسباب الإيمان برسائله ويبعد عن أفكارهم عوامل الريب فى صدقه.

٤- أما عن عقيدته صلى الله عليه وسلم فقد نشأ سليم العقيدة صادق الإيمان عميق التفكير غير خاضع لترهات ^(١) الجاهلية فما عرف عنه أنه سجد لصنم قط أو تمسح به أو ذهب إلى عراف أو كاهن بل بغضت إليه عبادة الأصنام والتمسح بها فلم يخلف "باللات والعزى" ^(٢) ولم يتمسح بالصفراء ^(٣) ولم يتوسل إلى "إساف ونائلة" ^(٤) كما كانوا يفعلون وكذلك بغض إليه صلى الله عليه وسلم قول الشعر فلم يعرف عنه أنه قال شعراً أو أنشأ قصيدة لأن ذلك لا يتلاءم ومقام النبوة وصدق الله تعالى حينما قال : (وما علمناه الشعر وما ينبغي له) ^(٥) .

٥- كان طابعه صلى الله عليه وسلم الوقار والكمال مع سماحة فى الطبع وطلاقة فى الوجه وحلاوة فى اللسان جعلته محبباً إلى كل من يعاشره أو يحادثه أو يلقاه.

(١) ترهات - جهالات.

(٢) اللات والعزى آلهة الكفر والضلال.

(٣) الصفراء صنم الكفر والجهالة

(٤) إساف ونائلة . صنم من النحاس

(٥) سورة يس من الآية ٦٩

وعرف له أهل مكة هذا السمـت ^(١) الوقور وهذا الخلق الرضى فأحبوه وأكبروه ووصفوه بأحسن ما يمكن أن يوصف به إنسان من صفات الكمال... فلقبوه بالأمين وأصبح هذا اللقب وصفاً مميزاً له دون غيره حتى صار علماً عليه لا ينادى ولا يذكر إلا به، فقد عرفوه منذ نشأ فيهم وهو الصادق الذى لا يكذب والوفى الذى لا يغدر والناصح الذى لا يغش والأمين الذى لا يخون كما عرفوه طاهر النفس واسع الحلم رحيم القلب جم التواضع وعرفوا فيه كرم العشرة وحسن الجوار ورجاحة العقل... وعلو الهمة والزهد فيما يتكالب الناس عليه من متاع زائل ولمسوا فيه الخير كل الخير، ذلك كله هو ما دعا خديجة رضى الله عنها وأرضاها إلى أن تدعو محمداً زوجاً لها.

٦- كانت خديجة كما يروى ابن الأثير وابن هشام - امرأة تاجرة ذات شرف ومال تستأجر الرجال فى مالها وتضاربهم إياه بشئ تجعله لهم منه، فلما بلغها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الحديث وعظم الأمانة وكرم الأخلاق، أرسلت إليه ليخرج فى مالها إلى الشام تاجراً وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره ومعه غلامها ميسرة، وقد قبل محمد صلى الله عليه وسلم هذا العرض فرحل الى الشام عاملاً فى مالها ومعه ميسرة فحالفه التوفيق فى هذه الرحلة أكثر من غيرها وعاد الى خديجة بأرباح مضاعفة، فأدى لها ما عليه فى أمانة تامة ونبل عظيم

(١) السمـت : الطابع المميز

ووجد ميسرة من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم وعظيم أخلاقه ما
 ملاً قلبه، دهشة له، وإعجاباً به فروى ذلك لخديجة. فأعجبت خديجة
 بعظيم أمانته ولعلها دهشت لما نالها من البركة بسببه فعرضت نفسها عليه
 زوجة بواسطة صديقتها... (نفيسة بنت منية) فوافق النبي صلى الله عليه
 وسلم وكلم في ذلك أعمامه فخطبوها له من عمها (عمرو بن أسد)
 وتزوجها صلى الله عليه وسلم وقد تم له من العمر خمسة وعشرون عاماً
 ولها من العمر أربعون.

وعمله صلى الله عليه وسلم في مال خديجة استمرار لحياة الكدح
 الذى بدأه برعى الأغنام، ولخديجة فضل ومنزلة في حياة النبي صلى الله
 عليه وسلم، فلقد ظلت لخديجة مكانة سامية عند رسول الله طيلة حياته.
 وقد ثبت في الصحيحين أنها خير نساء زمانها على الإطلاق. روى
 البخارى ومسلم أن علياً رضى الله عنه سمع رسول الله صلى الله عليه
 وسلم يقول : "خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة بنت
 خويلد"^(١). وروى البخارى ومسلم أيضاً عن عائشة رضى الله عنها
 أنها قالت : (ما غرت على نساء النبي صلى الله عليه وسلم إلا على
 خديجة وإننى لم أدركها، قالت : "وكان رسول الله صلى الله عليه
 وسلم إذا ذبح الشاة فيقول أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة قالت :

(١) الضمير فى نساءها عائد - كما تدل رواية مسلم - إلى السماء بالنسبة لمريم وإلى الأرض بالنسبة لخديجة.
 وقال الطبرى : الضمير الأول راجع إلى الأمة التى كانت فيها مريم، والثانى إلى هذه الأمة، وانظر فتح

فأغضبته يوماً فقلت : خديجة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
إنى قد رزقت حبها" ^(١) .

وروى أحمد والطبرانى من طريق مسروق عن عائشة قالت : "كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر
خديجة فيحسن الثناء عليها فذكرها يوماً من الأيام، فأخذتني الغيرة
فقلت: هل كانت إلا عجوزاً قد أبدلك الله خيراً منها ؟. فغضب ثم
قال: (لا والله ما أبدلنى الله خيراً منها : آمنت بى إذ كفر الناس،
وصدقتنى إذ كذبنى الناس، وواستتنى بما لها إذ حرمنى الناس ورزقنى الله
منها الولد دون غيرها من النساء).

(١) متفق عليه واللفظ لمسلم.

الفصل الثالث

اشتراكه صلى الله عليه وسلم فى بناء الكعبة

١- الكعبة أول بيت بنى على اسم الله ولعبادة الله وتوحيده فيه، بناه أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام بعد أن عانى من حرب الأصنام وهدم المعابد التى نصبت فيها، بناها بوحي من الله تعالى وأمر له بذلك (وإذا رفع إبراهيم القواعد فى البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم)^(١).

٢- ولقد شارك رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة فى بناء الكعبة وإعادة تشييدها مشاركة فعالة، فلقد كان ينقل الحجارة على كتفه ما بينها وبينه إلا إزاره وكان له من العمر إذ ذاك خمس وثلاثون سنة فى الأصح. وروى البخارى فى صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : لما بنيت الكعبة ذهب النبى صلى الله عليه وسلم والعباس ينقلان الحجارة فقال العباس للنبى صلى الله عليه وسلم: اجعل أزارك على رقبتك، فخر إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء فقال : أرنى إزارى فشده عليه.

(١) سورة البقرة الآية ١٢٧

٣- وقد ذهب بعض المستشرقين إلى أن الإسلام إذا كان قد قضى على عبادة الأصنام بصورة جزئية فإذا به يقرر هذه العبادة على نطاق أوسع إذ أن كل ما فعله هو أن جمع الأصنام فى حجر واحد هو الكعبة. وقد نهى الناس عن عبادة الأصنام المفردة ويدعوهم بعد ذلك إلى العبادة الجامعة وأن الرسول قد اشترك فى ذلك إذ أن له دوراً فى هذا التجميع بصورة فنية دقيقة.

غير أننا نستطيع الرد على هؤلاء الدعاة المضللين بأنه ليس للكعبة تأثير على الطائفين حولها أو العاكفين فيها فهى على ما لها من قداسة ووجاهة عظيمة عند الله حجارة لا تضر ولا تنفع، ولكن الله عز وجل لما أمر إبراهيم عليه السلام بتكسير الأصنام والطواغيت وهدم بيوتها والقضاء على معالمها ونسخ عبادتها اقتضت حكمته عز وجل أن يشيد فوق الأرض بناء يكون شعاراً لتوحيد الله وعبادته وحده ويظل مع الدهر تعبيراً للعالم عن المعنى الصحيح للدين والعبادة وعن بطلان كل من الشرك وعبادة الأصنام.

هذا البيت يدخله الإنسان ليقف عزيزاً لا يخضع ولا يدن، لا خالق الكون له، وإذا كان لابد للمؤمنين بوحداية الله والداخلين فى دينه من رابطة يتعارفون بها، ومثابة يؤوبون إليها، مهما تفرقت بلدانهم وتباعدت ديارهم واختلفت لغاتهم وأجناسهم، إذا كان لابد من ذلك فليس أجدر من هذا البيت الذى أقيم رمزاً لتوحيد الله ورداً على باطل الشرك

والأصنام، من أن يكون هو الرابطة وهو المثابة لهم جميعاً، يتعارفون فى حماء ويلتقون على الحق الذى شيد ليكون تعبيراً عنه فهو الشعار الذى يجسد وحدة المسلمين فى أقطار الأرض، ويعبر عن توحيد الله والعبادة له وحده مهما أقيم من آلهة زائفة وانتصب من متألهين باطلين على مر الأزمنة والعصور.

وهذا هو المعنى المستفاد من قوله تعالى : (وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى)^(١) وهذا هو المعنى الذى يلحظه الطوائف بالبيت الحرام، بعد أن يملأ قلبه من معنى العبودية لله تعالى والقصد إلى تحقيق أوامره ومن حيث أنها أوامر ومن حيث أنه عبد مكلف بتلبية الأمر وتحقيق المأمور به ومن هنا جاءت قداسة البيت وعظم مكانته عند الله تعالى وكانت ضرورة الحج إليه والطواف من حوله.

٤- ولعلنا نذكر ما كان له صلى الله عليه وسلم من أثر كبير فى حل المشكلة التى تسببت عن اختلاف القبائل حول من يستحق أن ينال شرف وضع الحجر الأسود فى مكانه فقد خضع جميعهم لاقتراحه الذى أبداه حلاً للمشكلة علماً منهم بأنه الأمين والمحجوب من الجميع.... ويتمثل حله لتلك المشكلة بأن قال : (هلموا إلى ثوب) فجاءوه بالثوب فأخذ الحجر فوضعه فى وسط الثوب ثم قال : (لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعاً). فأشرك بذلك كل الأطراف المتنازعة.

(١) سورة البقرة الآية ١٢٥

وينبغي أن نحيل هذه المزية فيه عليه الصلاة والسلام إلى ما اختاره الله له من القيام بعبء الرسالة والنبوة، قبل أن نحيلها إلى العبقرية التي جبل عليها والذكاء الذي فطر عليه، فالأساس الأول في تكوينه صلى الله عليه وسلم أنه رسول ونبي ثم تأتي المزايا الأخرى كلها من عبقرية ودهاء وذكاء مبنية على هذا الأساس ولاحقة به..... فنبوته ورسالته أصبغته بحكمة في تدبير الأمور.

الفصل الرابع

اختلاوه فى غار حراء

١- كانت حياة النبى صلى الله عليه وسلم قبل البعثة أمتل حياة وأكرمها... وأحفلها بمعانى الإنسانية والشرف والكرامة وعظمة النفس ثم نبأه الله وبعثه فتمت هذه الفضائل وترعرعت ومازالت تسمو فروعها وترسخ أصولها حتى أصبحت فريدة فى تاريخ الإنسانية، فكانت حياة نور انبعث من وسط ظلمات وحياة طهارة بزغت من وسط أدناس وأرجاس.

٢- ولما أخذت سنه تدنو نحو الأربعين نشأ لديه حب للعزلة عن الخلق والانصراف إلى الخالق لما فى الخلوة من صفاء النفس وهدوء البال والتفكر فى ملكوت الله وعظيم خلقه وجليل قدرته، وهذه الخلوة التى حببت إلى قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم دلالة عظيمة جداً لها أهمية كبرى فى حياة المسلمين عامة وحياة الداعين إلى الله بصورة خاصة. فهى توضح أن المسلم لا يكمل إسلامه مهما كان متحلياً بالفضائل قائماً بألوان العبادات حتى يجمع إلى ذلك ساعات من العزلة والخلوة يحاسب فيها النفس ويراقب الله تعالى ويفكر فى مظاهر الكون

ودلائل ذلك على عظمة الله. هذا فى حق أى مسلم يريد لنفسه الإسلام الصحيح فكيف بمن يريد أن يضع نفسه موضع الداعى إلى الله والرشد إلى الطريق الحق. وحكمة ذلك أن للنفس الإنسانية آفات لا يقطع شرها إلا دواء العزلة عن الناس ومحاسبتها فى نجوة من ضجيج الدنيا ومظاهرها. فالكبر والعجب والحسد والرياء وحب الدنيا. كل ذلك آفات من شأنها أن تتحكم فى النفس وتتغلغل إلى أعماق القلب وتعمل عملها التهديمى فى باطن الإنسان رغم ما قد يتجلى به ظاهره من الأعمال الصالحة والعبادات المبرورة، ورغم ما قد ينشغل به من القيام بشئون الدعوة والإرشاد وموعظة الناس. وليس لهذه الآفات من دواء إلا أن يتخلى صاحبها بين كل فترة وأخرى مع نفسه ليتأمل فى حقيقتها ومنشئها ومدى حاجتها إلى عناية الله تعالى وتوفيقه فى كل لحظة من لحظات الحياة، ثم ليتأمل فى الناس ومدى ضعفهم أمام الخالق عز وجل وفى عدم أى فائدة لمذبحهم أو قدحهم، ثم ليتفكر فى مظاهر عظمة الله وفى اليوم الآخر وفى الحساب وطوله وفى عظيم رحمة الله وعظيم عقابه، فعند التفكير الطويل المتكرر فى هذه الأمور تتساقط تلك الآفات اللاحقة بالنفس ويحى القلب بنور العرفان والصفاء فلا يبقى لعكر الدنيا من سبيل إلى تكدير مرآته.

وشئ آخر له بالغ الأهمية فى حياة المسلمين عامة وأرباب الدعوة خاصة هو تربية حبة الله عز وجل فى القلب. فهو منبع التضحية والجهاد

وأساس كل دعوة متأحجة صحيحة ومحبة الله لا تأتي من مجرد الإيمان العقلي به، فالأمور العقلانية وحدها ما كانت يوماً ما لتؤثر في العواطف والقلوب ولو كان كذلك لكان المستشرقون في مقدمة المؤمنين بالله ورسوله وكانت أفئدتهم من أشد الأفئدة حباً لله ورسوله. وإنما الوسيلة إلى محبة الله تعالى بعد الإيمان به - كثرة التفكير في آلائه ونعمه، والتأمل في مدى جلاله وعظمته، ثم الإكثار من ذكره سبحانه وتعالى بالقلب واللسان. وإنما يتم كل ذلك بالعزلة والخلوة والابتعاد عن شواغل الدنيا وضوضائها في فترات متقطعة مكررة من الزمن. فإذا قام مسلم بذلك وتهيأ له أداء هذه الوظيفة، نبت له من ذلك في قلبه محبة إلهية عارمة تجعله يستصغر كل عظيم، ويحتقر كل مغرية من المغريات، ويستهن بكل إيذاء وعذاب، ويستعلى فوق كل إذلال أو استهزاء، فتلك هي العدة الكبرى التي ينبغي أن يتسلح بها الدعاة إلى الله وتلك العدة التي جهز الله بها حبيبه محمداً صلى الله عليه وسلم للقيام بأعباء الدعوة الإسلامية.

٣- وكانت البعثة بغار حراء ونزل الوحي عليه صلى الله عليه وسلم وهو يتأمل ويفكر، فحمل لواء الإسلام يرتفع به شيئاً فشيئاً مرفرفاً خفاقاً في كل الميادين وحمل لواء المبادئ السمحة التي بعثت في نفوس المستضعفين الأمل فأقبلوا يتدافعون إلى الإسلام أقبال الظمء على زلال الماء فيتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبر والتكريم ويسيطر لهم

وجهه وقلبه ومجلسه ويسوى بينهم وبين الذين يؤمنون من السادة والأشراف لا يفرق فى ذلك بين الغنى والفقر ولا بين القوى والضعيف ولا بين الحر ولا الرقيق ويقف منهم جميعاً موقف الأخ الشقيق والوالد الرحيم يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم أصرهم والأغلال ويضرب لهم المثل الكامل بخلقه ودينه وهم يتبعونه ويقلدونه ويتسمون خطاه فيما يقول وما يفعل ويطيعونه طاعة الإكبار والإخلاص والحب.

الفصل الخامس

محمد وآل بيته

١- حلمه وبره: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل الكامل والأسوة الحسنة للإنسانية فى حسن معاشرة الأزواج بالمعروف والقسمة بينهم بالعدل فى كل من المبيت والنفقة واللفظ والكرم وفى احتمال غضبهن وغيرهن وتنازعهن بالأناة والرفق والموعظة الحسنة، وكان يقوم فى البيت بمهنة أهله ويقضى حوائجه بيده. قالت عائشة رضى الله عنها: (ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده امرأة له ولا خادماً قط). وكان فى بيته يطهر ثوبه ويرقع ويحلب شاته ويخصف نعله ويخدم نفسه ويعقل البعير ويأكل مع الخادم ويقضى حاجة الضعيف والبائس والمسكين من آل بيته وإذا رأى أحداً فى حاجة آثره على نفسه ولو كان به خصاصة.

لقد جعل الرسول الكريم حسن معاشرة الزوجة ميزاناً لأفضلية المسلم، وزيادة قربه من ربه فقال فيما يرويه أبو هريرة رضى الله عنه : (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم).

يقول الأستاذ العقاد (و لم يجعل صلى الله عليه وسلم من هيبة النبوة سداً رادعاً بينه وبين نسائه بل أنساهن، برفقه وإيناسه، أنهن يخاطبن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض الأحيان فكانت منهن من تقول له أمام أبيها : (تكلم ولا تقل إلا حقاً !)، ومن تراجعته أو تغاضبه ومن تبلغ فى الاجترأ عليه ما يسمع به رجل كعمر بن الخطاب فى شدته فيعجب له ويهم بأن يبطش بابنته حفصة لأنها تجترئ كما تجترئ الزوجات الأخريات وإذا رأى النبی ذلك كف عن غضب الأب وقال : (ما لهذا دعوناك).

وكان صلى الله عليه وسلم هاشا باشاً يدخل السرور على أهله ويأذن لمن أن يلعبن بالمباح، قالت عائشة رضى الله عنها : (كنت أَلعب بالبنات) أى باللعب التى على صورة البنات، وتجنئ صواحبي فيلعبن معى فإذا رأين رسول الله صلى الله عليه وسلم انقمعن منه ودخلن وراء ستر حياء وهيبة وكان صلى الله عليه وسلم يدخلهن على فيلعبن معى)

٢- رفقہ ورعايته: وكان صلى الله عليه وسلم لا يشغله عن الرعاية لأزواجه والرفق بهن شاغل فى حضراً وسفر، وفى حرب أو سلام. قال أنس بن مالك رضى الله عنه : (بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير وحاد يحدو بنسائه فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا قد تنحى بهن (ازداد حداؤه فازدادت الإبل نشاطاً) قال : فقال له : يا أنجشہ وهو خادم لدى النبى (ويحك) أرفق بالقوارير). والمراد أن أنجشہ

خادمه كان يحدو (ينشد ويغنى) كما هي عادة العرب لتنشيط الإبل وسرعة سيرها فلما ازداد نشاطها وعليها النساء أمره صلى الله عليه وسلم بالرفق لأنهن كالقوارير (الزجاجات) فى رقتهن ولطافتهن وضعفهن

ولم يختلف حاله صلى الله عليه وسلم مع أزواجه فى وقت الشدائد عن حاله فى وقت الرضا فإن أحواله بهن فى وقت الغضب لا تحرك عن مجال الرحمة والصفح والتلطف معهن بل ودفع الأذى عنهن.

فلما شاعت حملة عبد الله بن أبى بشأن خبر الإفك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السيدة عائشة : (إنى لا أعلم عنها إلا خيراً) وقالت عائشة رضى الله عنها : (كان بينى وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم كلام فقال : من ترضين أن يكون بينى وبينك ؟ فقلت أبا بكر. فبعث إليه ف جاء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقض بينى وبين هذه. فقال : أنا يارسول الله ؟ ! قال : نعم فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت له : (اعدل يارسول الله) قالت : فرفع أبو بكر يده فلطم وجهى لطمة بدرمنها أنفى ومخرأى دمأ وقال : لا أبالك فمن يقصد إذا لم يقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أردنا هذا، وقام فغسل الدم عن وجهى وثوبى بيده).

٣- عدله وانصافه : كان صلى الله عليه وسلم يعدل بين أزواجه في النفقة وفي السؤال عنهن وفي المبيت وفي السفر وفي الإقامة، في كل ما يتصل بهن مما يقدر عليه، أما ما كان خارجاً عن قدرته كحبه لإحداهن أكثر من غيرها فذلك ما لم يكلفه الله به ومع ذلك كان يستغفر الله منه. قالت عائشة.. رضى الله عنها : (كان رسول صلى الله عليه وسلم يقسم فيعدل ويقول : اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك).

٤- عطفه ورحمته : كان الرسول صلى الله عليه وسلم حاكم دولة وزعيم أمة ومربي جيل وقائد جيش كما كان مصلحاً اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً ومشرعاً لكافة البشر كما كان صلى الله عليه وسلم زوجاً وأباً وصهرأ وكافل أيتام ومروض منافقين ومعالج مرضى القلوب وضعاف الإيمان ومع ذلك كله وجد مكاناً في قلبه لأبنائه كى يعطيهم من الرحمة والعطف والشفقة والعطف ما يشبع رغبتهم ويحيى نفوسهم ويسعد وجدانهم ويربى فيهم الخلق الكريم والشعور النبيل وحتى يضى عليهم من نور نبوته وحنان أبوته ما يجعل الحياة فى خاصة أهله وأولاده حياة مشرفة.

قال أبو قتادة : (بينما نحن على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم جلوس أن خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يحمل أمانة بنت أبى العاص ابن الربيع وأمها زينب بنت رسول الله صلى الله

عليه وسلم وهى على عاتقه يضعها إذا ركع ويعيدها على عاتقه إذا قام حتى قضى صلاته يفعل ذلك بها).

وذات مرة أقبل الحسن بن على على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحب به النبي وضمه إلى صدره وقبله بين عينيه.

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يجامل أولاده على حساب باقى الناس فعن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما زوجه فاطمة رضى الله عنها بعث معها بحملة ووسادة آدم حشوها ليف ورحاءين وسقاء جرتين فقال على لفاطمة ذات يوم : والله لو سقوت (أى حملت آلة السقى) حتى قد اشتكيت صدرى. فقد جاء الله أباك بسبى، فاذهبى فاستخدميه فقالت : وأنا والله قد طحنت حتى مجلت (أى ورمت) يداى. فأنت النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ما جاء بك يا بنية ؟ قالت : جئت لأسلم عليك واستحييت أن تسأله ورجعت. فقال : ما فعلت ؟ قالت : استحييت أن أسأله ورجعت. فأتيته جميعاً فقال على : والله لقد سقوت حتى اشتكيت صدرى، وقالت فاطمة : والله قد طحنت حتى مجلت يداى وقد أتى الله بسبى وسعة فاخدمنا (أى اجعل لنا خادماً) فقال : والله لا أعطيكم وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم لا أجد ما أنفق عليهم ولكنى أبيعهم (أى السبى) وأنفق على أهل الصفة من أثمانهم. وأهل الصفة هم مساكين أسكنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فوق مسجده.

ولقد بلغ حلم الرسول صلى الله عليه وسلم ورحمته الذروة فى تاريخ الإنسانية إذ لم يقف حلمه وبره وعطفه ورفقه عند الإنسان فحسب بل شمل الحيوان كذلك فكان يقوم بنفسه ليفتح بابه لهرة تلمس عنده ملجأ وكان يقوم بنفسه على تمريض ديك مريض وكان يمسح لجواده بكم قميصه وكان يقول صلى الله عليه وسلم : (إن الله رحيم يحب الرحماء ومن لا يرحم لا يُرحم).

ركبت عائشة ذات يوم بعيراً فيه صعوبة فجعلت تردده فقال لها صلى الله عليه وسلم : (عليك بالرفق) فكذلك شملت رحمته كل ما اتصل بها وأظلت كل من كان فى حاجة إلى تقيوء ظلالها. وهى لم تكن مودة ضعف ولا رحمة استكانة ولم تشبها شائبة من ولا استعلاء إنما كانت إخاء فى الله بين محمد والذين اتصلوا به جميعاً ومن ثم يفرق أساس حضارة الإسلام عن كثير من سائر الحضارات فالإسلام يضع العدل إلى جانب الإخاء والمودة إلى جانب الصفح والحلم إلى جانب الرحمة، وينبع ذلك من نبع الرسالة التى أرسله الله بها شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

الفصل السادس

زهّد محمد

١- لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يتأنق فى ملبسه ولم تطلب نفسه تعالى فيه ميلاً للتواضع والعبودية، وإشارة إلى أن كرم المؤمن وعزة تقوى الله لا بارتكاب أوجه الترفعات الدنيوية إذ لا يميز بها الله بين عباده ومعيّار التميز عند الله تعالى هو التقوى.

٢- أما فراشه صلى الله عليه وسلم فقد أخذ منه ما تدعو ضرورته إليه فكان فراشه صلى الله عليه وسلم الذى ينام عليه أدماً حشوه ليف. روى البيهقى فى حديث عائشة قالت : (دخلت على امرأة من الأنصار فرأت فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم قطيفة مثنيه فبعثت إلى بفراش حشوه الصوف. فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : "ما هذا يا عائشة ؟" قلت : يا رسول الله فلانه الأنصارية دخلت فرأت فراشك فبعثت إلى بهذا فقال : رديه يا عائشة فوالله لو شئت لأجرى الله معى جبال الذهب والفضة).

وروى ابن ماجه عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : (دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على حصيرة قال : فجلست

فإذا عليه إزاره.... وليس عليه غيره وإذا الحصار قد أثر في جنبه وإذا بقبضة من الشعير نحو الصاع وإذا إهاب معلق فابتدرت عيناى فقال : ما يبكيك يا ابن الخطاب ؟ فقلت : يا نبي الله ومالي لا أبكي وهذا الحصار قد أثر في جنبك وهذه خزائنك لا أرى فيها إلا ما أرى وذاك كسرى وقيصر في الثمار والأنهار وأنت نبي الله وصفوته وهذه خزائنه. فقال : يا ابن الخطاب : أما ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا)..... ما أروعه من زهد وتقشف...

٣- يقول "بوزورث سميث" فى وصف الرسول صلى الله عليه وسلم : "ما كان أثاث داره ليزيد على سريره الذى ينام عليه وقد صنع من سعف النخيل وكم من ليال نام فيها على الطوى وكم من أيام مرت دون أن توقد فى دار من دوره نار لطبخ وما كان غذاؤه وغذاء أهل بيته إلا التمر والماء.

قالت عائشة رضى الله عنها واصفة حال بيتها من جهة الطعام فتقول لعروة ابن الزبير : (والله يا ابن أختي إنا كنا ننظر إلى الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة فى شهرين وما أوقد فى أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار. قال عروة ياخالة فما كان عيشكم ؟ قالت : (الأسودان

- التمر والماء^(١) وكان صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئاً لغده حتى لقد انتقلت روحه إلى بارئها ودرعه مرهونة عند يهودى فى قوت عياله.

وحينما اجتمعت نساء الرسول صلى الله عليه وسلم يطلبن مزيداً من النفقة ومتع الحياة رفض الرسول ذلك ونزل القرآن يؤيده قال تعالى : (يا أيها النبى قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعن وأسرحكن سراحاً جميلاً* وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً)^(٢). فاحترن جميعاً الله ورسوله والدار الآخرة لأنهن أدركن حيثنذ الهدف الحقيقى من تكريم الرسول لهن بالزواج منهن.

٤- وقد كان محمد صلى الله عليه وسلم قدوة سلوكية. لم يكن يبغي السيطرة بل كان يقول دائماً أنه بشر رسول، ولقد عرضوا على رسول الله فى أول الأمر وبدون جهد أو لقب أن يعطوه من المال ما يريد فلما رفض عرضوا عليه الملك إن أراد فرفض الزعامة والثروة والجاه والسلطان وكل ما تستطيع الدنيا أن تهبه له وعندما وجد من يضافحه يرتعد من الإنفعال لأنه يضافح رسول الله. قال له : هون على نفسك فأنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد (أى الخبز الجاف).

(١) عن مقال للدكتور شحات حسين الفيومى المدرس بكلية أصول الدين بالمنوفية (اللواء الإسلامى العدد

٣٠٢)

(٢) سورة الأحزاب الآية ٢٨ و ٢٩.

قد يحدث بعض الأحيان أن تكون المثل عند الإنسان أكبر من حجم الدنيا لأنه لم يذق حلاوة المجد والحياة والسلطان والمال ونعيم الحياة ولكن حين تقبل عليه الدنيا قد تتغير مثله وقيمه. فكم من إنسان بدأ مكافحاً حتى إذا حقق لنفسه الثروة نسى المثل التى قامت عليها حياته وأباح لنفسه ما كان يحرمه عليها ولذلك نسمع عن كثير من الذين قادوا ثورات الإصلاح فى العالم أنهم انحرفوا عن الطريق وأنه لا بد من تصحيح مسار الثورة وابعاد المتحرفين عنها. ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم رفض بعد أن انتصر الإسلام وانتشر فى الجزيرة العربية وثبت أقدامه، رفض أن يحصل على ميزة شخصية، فلا هو بنى لنفسه قصرًا، بل ظل يعيش فى بيته، ولا هو أنشأ لنفسه حرساً....

فالله يقول عنه (والله يعصمك من الناس) ^(١).

(١) سورة المائدة ٦٧.

الفصل السابع

محمد وأصحابه

لم يكن فى عصره صلى الله عليه وسلم ولا فى العصور الأخرى من قاربه فى فضله، ولاداناه فى كماله خلقاً وخلقاً وقولاً وفعللاً وبذلك وصفه الله تعالى فى كتابه الكريم بقوله (وإنك لعلى خلق عظيم)^(١) وقد حدثت عائشة رضى الله عنها عندما سئلت عن خلقه صلى الله عليه وسلم إذ قالت : (كان خلقه القرآن)

١- " فقد وسع الناس بأخلاقه فصار لهم أباً وصاروا عنده فى الحق سواء، فقد كان مجلسه صلى الله عليه وسلم مجلس حلیم وحياء وصدق وأمانة لا ترفع فيه الأصوات ولا تؤبن فيه الخرم ولا ننسى فلتاته، لا يجلس ولا يقوم إلا ذكر الله عز وجل ويعطى كل جلسائه بنصيبه فلا يحسب أحد من جلسائه أن أحداً أكرم عليه منه " ^(٢)

(١) سورة القلم الآية ٤.

(٢) عن كتاب أخلاق النبی صلى الله عليه وسلم وآدابه تألیف الحافظ أبی عبد الله بن محمد بن جعفر بن حیان الأصفرانى تحقیق احمد محمد موسى.

٢- (وسيرته فى جلسائه أنه صلى الله عليه وسلم كان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس فظ ولا غليظ ولا صحاب في الأسواق ولا فاحش، ولا غياب ولا مداح، وكان لا يذم أحداً ولا يعيره ولا يطلب عوراته ولا يتكلم معهم إلا فيما رجا ثوابه، إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤسهم الطير، وإذا سكت تكلموا، ولا يتنازعون عنده الحديث، من تكلم انصتوا له حتى يفرغ ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوز حديثه إلى غيره).

٣- وقد كان صلى الله عليه وسلم يمازح أصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره ويحب دعوة الحر والعبد والأمة والمساكين ويعود المرضى إلى أقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر ويبدأ من لقيه بالسلام ويبدأ أصحابه بالمصافحة ولا يجلس إليه أحد وهو يصلى إلا خفف صلاته وسأله عن حاجته فإذا فرغ عاد إلى صلاته وكان أطيب الناس بينهم نفساً وأكثرهم تبسماً ما لم ينزل عليه قرآن أو يعظ أو يخطب.

٤- وكان الرسول صلى الله عليه وسلم بين مواليه وخدمه عطوفاً شقيقاً براً رحيماً ينجبهم ويكرمهم ويكرم أبناءهم وكان يبر حاضنته - أم أيمن - ويقول عنها : " هذه بقيه أهلى " ويقول : " أم أيمن أمى بعد أمى " ورأت أم أيمن النبى يوماً وهو يشرب فقالت له : " اسقنى " فاستكرت السيدة عائشة زوج النبى من أم أيمن أن تقول ذلك للرسول

وقالت لها : " أتقولين ذلك لرسول الله " ؟! فقالت أم أيمن : " ما خدمته أطول، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : " صدقت يا أم أيمن " وجاء لها بالماء فسقاها. وكان يحب مولاه " زيد بن حارثة " الذى كان قد زوجه من أم أيمن وكان حبه وبره على ابنها أسامة بن زيد لا يقل عن حبه للحسن ابن ابنته فاطمة وكان يقول عنهما مناجياً الله : " اللهم إني أحبهما فأحبهما " وكان يقول عن أسامة : " من أحب الله ورسوله فليحب أسامة بن زيد ". وخدم " أنس بن مالك " الرسول صلى الله عليه وسلم عشر سنين ما عاقبه فيها يوماً ولا قال لشيء فعله : " لم فعلته؟ " " ولا لشيء لم يفعله " : إلا فعلته ". وكان يذهب إلى دار أنس فيداعب اخوته الصغار فإذا جاء موعد الصلاة صلى بدارهم وصلى أهل البيت معه. وكان الرسول صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى فى بر اليتامى والاحساس بالآلامهم ومشاعرهم والدعوة إلى معالجة أحاديث نفوسهم من الشعور بالغرابة فلقد كان الصدر الحانى والقلب العطوف ممثلاً فى ذلك لأمر به : (" فأما اليتيم فلا تقهر ") (٢) .

وجاء واضحاً فى هديه قوله صلى الله عليه وسلم : " أنا وكافل اليتيم فى الجنة كهاتين " وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى، وكان لا ينهر سائلاً ممثلاً لقوله تعالى : (وأما السائل فلا تنهر) (١) فكان رسول الله

(٢) سورة الضحى الآية ٩

(١) سورة الضحى الآية ١٠ .

صلى الله عليه وسلم كان بلسماً لجراح كل أصحاب النفوس المكلومة
والتي تعاني من ضعف الجانب وقلة الحيلة كهؤلاء ليكنون بحق - رحمة
للناس أجمعين. قال تعالى : (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) ^(٢) وقالت
السيدة خديجة - وهى أعرف الناس به - : " ما كان ليخزيك الله ابداً
إنك لتصل الرحم وتقرى الضيف وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتعين
على نوائب الحق " ^(٣).

٥- لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصاً على صلة
القربى فقال : " أوصيكم بصلة الرحم " وذلك لأن صلة القربى يقوى
من الروابط بين المسلمين وقد ضرب الرسول صلى الله عليه وسلم
القدوة الحسنة والمثل الأعلى فى صلة القربى فكان يوصل أهله وذويه
ويعطف عليهم ويودهم وقد بلغ حبه صلى الله عليه وسلم لصله القربى
أن جمع حوله أعظم وأقوى أصحابه : فقد تزوج من عائشة بنت أبى بكر
ومن حفصة بنت عمر وزوج عثمان ابنته أم كلثوم بعد أن أختار الله
رقية إلى جواره وكانت زوجة لعثمان وزوج ابنته فاطمة من على بن أبى
طالب ابن عمه... بهذا كفّل للمسلمين مزيداً من القوة ومزيداً من
الترابط وصلة القربى.

(٢) سورة الأنبياء الآية ١٠٧.

(٣) صحيح البخارى باب كيف كان بدء الوحى.

٦- كل هذه الصفات إنما تأتي من وراء صفة النبوة فيه.. فهي كلها متفرعة عن كونه نبياً ورسولاً إلى الناس، ومن الخطأ الفادح أن يعمد باحث فيحلل مثل هذه الصفات في حياته صلى الله عليه وسلم دون أن يربطها بمصدرها الأساسى الأول وهو نبوته ورسالته صلى الله عليه وسلم

٧- صورة رائعة عن لطف معشره وأنس حديثه والفكاهة فى محاوراته لأصحابه ومعاشرته لرفاقه، لم يكتب لنا أن نراها ونسعد بها فى مجالسه ومصاحبته ولكن ها نحن نستشفها من سيرته وأخباره العطرة فيهننا الشوق إلى رؤيته التى حرمانها ومجالسه التى سمعنا بها ولم نرها. اللهم عوضنا عن ذلك كله بقاء معه فى جنان خلدك وهيتنا لذلك بتوفيق من لدنك للتمسك بهديه واقتفاء أثره فى تحمل كل محنة وضيم فى سبيل دينك وتحقيق شريعتك.

الفصل الثامن

محمد وأعدائه

١- محمد وقريش :

قال ابن هشام : " بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجهر بدعوته تنفيذاً لأمر ربه فأستجاب لقوله تعالى : (فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين) ^(١) لكن قريشاً عادت محمدا صلى الله عليه وسلم فقد لاقى من ايدائهم أنواعاً كثيرة من ذلك ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص " أنه قال : " بينما النبى صلى الله عليه وسلم يصلى فى حجر الكعبة إذ أقبل " عقبة بن أبى معيط " فوضع ثوبه فى عنقه فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه، ودفعه عن النبى صلى الله عليه وسلم وقال : " أتقتلون رجلاً أن يقول ربى الله " ^(٢) ومنه ما رواه الطبرى وابن اسحاق أن بعضهم عمد إلى قبضة من التراب فنثرها على رأسه وهو يسير فى بعض سكك مكة وعاد إلى بيته والتراب على رأسه، فقامت إليه إحدى بناته تغسل عنه التراب وهى تبكى ورسول الله يقول لها : " بنية : لا تبكى فإن الله مانع " أباك " ^(٣) ومنه ما كانوا يواجهونه

(١) سورة المحر الآية ٩٤ .

(٢) رواه البعارى

(٣) انظر تاريخ الطبرى ٣٤٤/٢ وسيرة ابن هشام ١٥٨/١ .

به من فنون الهزء والغمز واللمز كلما مشى بينهم أو مر بهم فى طرقاتهم أو نواديبهم.

هـب أن أحداً منا قد تعرض لمثل تلك العذابات فإنه ولا شك يتوهم اليأس ويفترض العقبات والسدود التى تصد عن بلوغ الغاية. لكنه صلى الله عليه وسلم ما توهم يأساً ولا افترض سداً أو عقبة وإنما تحمل كثيراً.. مستبشراً بالنصر كلما رأى أنه يتحمل مزيداً من الضر والنكبات سعياً إلى تحقيق أمر الله عز وجل.

وهب أن أحدنا قد تعرض لمثل ما تعرض له محمد صلى الله عليه وسلم فى بدء دعوته وهو ضعيف الجانب امام قوى عظيمة كقوى قريش آنذاك فإنه ولا شك يتوعد لهم الوعود ويتربص بهم الدوائر إذا ما قويت شوكته وعظم شأنه لكن محمداً صلى الله عليه وسلم كان موقناً بأن نصر الله آت لا ريب فيه وقد أتى وعظم شأن محمد وأصحابه فماذا فعل بأهل قريش ؟!

ففى بدر حيث اشتدت المعركة بين المسلمين والمشركين فإذا بروح رسول الله الطاهرة السمحة تعترف لبعض أعدائه من المشركين بالجميل إذ أمر المسلمين بأن يمتنعوا عن قتال طائفة من أعدائه وهم أولئك الذين استكروها على الخروج لقتال محمد فأبى أن يقتلهم وإنما ترفق بهم وحفظ لهم الجميل إذ كانوا مانعي قريشاً منه، ولو كان مكان محمد صلى الله عليه وسلم غير محمد ما كان توانى لحظة فى قتالهم إذ ليس من المقبول أن

يؤدى إنسان لإنسان جميلاً ويحاربه بعد ذلك لكن روحه السمحة ووفاءه العهد أثبت إلا الرفق بهم والحسنى معهم.. وقد كان صلى الله عليه وسلم يصفح عمن أذاه فلما اشتدت معركة بدر وحمى وطيسها وكتب الله النصر لمحمد وأصحابه وهم قلة على الكثرة الكافرة وكان للرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه أسرى من الأعداء فماذا فعل بهم ؟ لقد توسط لديه وزيراه أبو بكر وعمر فى شأن قتالهم، فما كان منه صلى الله عليه وسلم رغم ما لقيه منهم من عذاب إلا أن اختار جانب التسامح والصفح عنهم والرحمة بهم فأطلق سراحهم بعد أن اقتدوا أنفسهم بالمال.

وفى أحد عندما قتل المشركون حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسول الله وجده صلى الله عليه وسلم بطن الوادى قد بقر بطنه عن كبده ومثل به فجذع أنفه وأذناه فقال صلى الله عليه وسلم ! " ولكن أظهرنى الله على قريش فى موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلاً منهم " وعندئذ نزل قوله تعالى : (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولكن صبرتم هو خير للصابرين) ^(١) وعندئذ عفا محمد وغفر ونهى عن المثلة.

وفى صورة أخرى نجده صلى الله عليه وسلم حينما فتح مكة فى العام الثامن الهجرى ومعه عشرة آلاف مؤمن وقف أمام الكعبة وقال : " يا معشر قريش : ما ترون أنى فاعل بكم ؟ قالوا : خيراً، أخ كريم وابن

(١) سورة النحل الآية ١٢٦.

أخ كريم، فقال : اذهبوا فأنتم الطلقاء " ^(١) ها هي ذى مكة وها هم أهلها الذين طالما ناصبوه صلى الله عليه وسلم العداوة وساموه أوصاف الأذى والعذاب مجتمعون حوله فى خشوع وترقب واطراق.

ومنذ تلك اللحظة طويت جاهلية قريش.. فلتطو معها سائر عاداتها وتقاليدها، ولتدفن فى غياهب الماضى الذى أدبر ولتغتسل قريش من بقية أدرانها لتتضم إلى قافلة محمد وتسير مع الركب، وهكذا دفنت بقايا الآثار الجاهلية تحت الأقدام وبايعت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام على أنه لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى وعلى أنه لا تعاضم إلا بحجة الإسلام ولا مباهاة إلا بالتمسك بنظامه وعلى ذلك ملكهم الله زمام العالم وأخضع لهم الدنيا.... فأعجب بعد ذلك لجيفة ننته تبعث اليوم من رسمها بعد مضى أربعة عشر قرناً على موتها ودفنها... والفضل فى ذلك لعظمة محمد صلى الله عليه وسلم الكبرى.

٢- محمد وثقيف :

لما نالت قريش من النبى صلى الله عليه وسلم خرج إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف ويرجو أن يقبلوا منه ما جاءهم به من عند الله عز وجل. ولما انتهى صلى الله عليه وسلم إلى الطائف عمد إلى نفر من ثقيف، هم يومئذ ساداته فجلس إليهم ودعاهم إلى الله وكلمهم بما جاءهم من أجله، فردوا عليه رداً منكراً، فأجأوه بما لم يكن يتوقع من

(١) رواه ابن اسحاق وروى نحوه ابن سعد فى طبقاته.

الغلظة وسمح القول، فقام رسول الله من عندهم يرجوهم أن يكتموا خبر مقدمه إليهم عن قريش إذا، فلم يجيبوه إلى ذلك أيضاً، ثم أغرروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبون ويصيحون به وجعلوا يرمونه بالحجارة حتى أن رجلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لتدميان وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى لقد شج في رأسه عدة شجاج^(١) حتى وصل رسول الله إلى بستان لعبته بن ربيعة فرجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه، فعمد عليه الصلاة والسلام، وقد أنهكه التعب والجراح، إلى ظل شجرة عنب فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران إليه، فلما اطمأن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الظل، رفع رأسه يدعو بهذا الدعاء : " اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وانت ربي. إلى من تكلني ؟ إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدو ملكته أمرى ؟ إن لم يكن بك على غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن تنزل بي غضبك أو يحل على سخطك، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك ". ثم عزم صلى الله عليه وسلم العودة إلى مكة ومعه زيد بن حارثة فقال له زيد : " كيف تدخل عليهم يا رسول الله وهم أخرجوك ؟ " فقال له صلى الله عليه وسلم : " يا زيد إن الله جاعل لما ترى فرجاً ومخرجاً وإن الله ناصر دينه ومظهر نبيه "

(١) : طبقات ابن سعد : ج ١ ص ١٩٦ .

فعاد رسول الله وصاحبه إلى مكة يتعرض لصنوف من الأذى وألوان من العذاب.

ويكون قد ركب متن الشطط من يعتقد أنه صلى الله عليه وسلم قد غلب على أمره وإن الضجر قد نال منه وأنه استعظم تلك المحنة لذلك توجه إلى الله بدعائه.

ولكن الحقيقة أنه عليه الصلاة والسلام قد استقبل تلك المحن راضياً، وتجرع تلك الشدائد صابراً محتسباً وإلا فقد كان بوسعه لو شاء أن يتقم من السفهاء الذين آذوه ومن الزعماء الذين أغروا به أولئك السفهاء وردوه ذلك الرد المنكر ولكنه عليه الصلاة والسلام لم يشأ ذلك.

ودليل ذلك ما رواه البخارى ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : " يا رسول الله هل أتى عليك يوماً كان أشد من يوم أحد ؟ فقال : " لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسى على " ابن عبد باليل بن عبد كلال " فلم يجبنى إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهى، فلم استفق إلا بقرن الثعالب فرفعت رأسى فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى فنظرت فإذا فيها جبريل فنادانى فقال : " إن الله عز وجل قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت. قال : " فنادانى ملك الجبال وسلم على ثم قال : " يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثنى ربك إليك لتأمرنى بأمرك، فما

شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً " (١).

إذاً فرسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلم اصحابه وأمته من بعده - بما كان يلاقه - الصبر بل وفن الصبر أيضاً على جميع الشدائد والمكاره فى سبيل الله عز وجل.

روى ابن اسحاق أنه صلى الله عليه وسلم قدم المدينة من تبوك فى شهر رمضان، وفى ذلك الشهر قدم عليه وفد ثقيف وكانوا قد تشاوروا بينهم فأسلموا طائعين.

ثقيف..... ! أولئك الذين أخرجوه من ديارهم شر إخراج وألحقوا به سفهاءهم وصبيانهم يضربونه ويؤذونه ويسخرون منه.

تلك هى ثقيف تسعى للدخول فى دين الله تعالى صادقة طائعة واستقبلهم محمد صلى الله عليه وسلم أعظم استقبال.

ولكن : تأمل فى كل ذلك الإيذاء الذى رآه من ثقيف والخيبة التى فوجئ بها بعد أن هاجر ساعياً على قدميه يعبر إليهم جبلاً وأودية قاصية مؤملاً عندهم استقبالاً كريماً أو استجابة حسنة إن أدنى ما يترك ذلك فى

(١) صحيح البخارى ومسلم.

نفس الإنسان العادى من الناس من الأثر، أن يفكر فى الانتقام أو أن يقابل إساءة بمثلها.

ولكن أين نجد هذا - أو حتى شيئاً من هذا - فى نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم تجاه ثقيف ولقد قيل له : " أدع على ثقيف " بعد أن حاصرها أياماً وأمر أصحابه بالرجوع فأبى ذلك ودفع يديه يقول : "اللهم اهد ثقيفاً وأت بهم مؤمنين".

ولما استجاب الله لدعاء رسوله وجاء وفد ثقيف إلى المدينة تسابق أبو بكر والمغيرة بن شعبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبشرانه بذلك لما يعلم كل منهما من شدة سرور النبي صلى الله عليه وسلم بنبأ اسلام ثقيف... وهدايتهم فخرج يستقبلهم فى بشر واکرام وراح يجبس عليهم وقته كله يعلمهم ويرشدهم وينصح لهم.

طالما أرادوا به الكيد وشفوا بايذائه غليل أحقادهم عليه، وهو لا يريد بهم إلا الخير والسعادة والرشد فى الدنيا والآخرة، طالما فرحوا بمنظر النكبة والضرير يرى متلبساً بها، ولكنه لم يفرح لهم إلا بنعمة الخير والاسلام إذ أكرمهم بهما الله !..

هذا هو الروح الطاهر والخلق الرضى.....

٣- محمد واليهود :

لقد لاقى محمد صلى الله عليه وسلم من اليهود أشد العذاب وأعنف المواقف وأرادوا به مواضع الخسة ومناظر النكسة، ومع ذلك، فقد كان ودوداً بهم مسامحاً لهم فتحدث إلى رؤسائهم وتقرب إليهم وربط بينهم وبينه برابطة المودة باعتبار أنهم أهل كتاب موحدون وبلغ من ذلك أنه كان يصوم يوم صومهم وكانت قبلته في الصلاة ما تزال إلى بيت المقدس قبله أنظارهم ومثابة بنى إسرائيل جميعاً وما كانت الأيام لتزيده باليهود أو لتزيد اليهود به إلا مودة وقربى كما أن سيرته وعظيم تواضعه وجميل عطفه كل ذلك وصل بالأمر بينه وبينهم إلى عقد معاهدة صداقة وتحالف وتقرير لحرية الاعتقاد وتعتبر من الوثائق السياسية الجديرة بالاعجاب على مر التاريخ، تتضح منها مودته بهم وصفحه لهم وحلمه إليهم وتسامحه معهم. وأدى خلق محمد صلى الله عليه وسلم بكثير من اليهود إلى طريق الهداية.. والسلام.. طريق النور.. طريق الاسلام..

٤- محمد وعبد الله بن أبي بن سلول :

عبد الله بن سلول هو صاحب خبر الإفك.... الشئ الذى كان أبلغ إيذاء للنبي صلى الله عليه وسلم من غيره لأن كل ما كان قد كابده قبل ذلك من الحزن أمور كان يتوقعها فقد وطن نفسه لقبولها وتحملها.. وليس التقاؤه بها في طريق الدعوة مفاجأة له، أما هذه فقد فوجئ بها لأنها ليس مما قد اعتاده أو توقعه.. إنه اليوم شئ آخر.. إنها شائعة، لو صحت لكانت

طعنة نجلاء فى أخص ما يعتد به إنسان، أخص ما يتصف به الشرف والكرامة وما الذى أدراه انها شائعة صحيحة أو باطلة؟! من هنا كانت هذه الأذية أبلغ فى تأثيرها من كل ما عداها، لأنها جاءت لتلقى بشعوره النفساني فى اضطراب مثير لا مناص منه، إلا وحى الله.

وقد عالج النبي صلى الله عليه وسلم المشكلة التى استغلها عبد الله بن أبى بن سلول بحكمة وبراعة فائقة فى سياسة الأمور وتربية الناس والتغلب على مشاكلهم.. فاستقبل الرسول صلى الله عليه وسلم إشاعة ابن سلول بصدر رحب وسمع كل اللغظ الذى جرى والتناوش الذى وقع وقضى شهراً كاملاً فى فرية من الأمر. وانتظر الناس أن يجدوا من الرسول صلى الله عليه وسلم شدة على المنافقين لا ريب أنها تتجلى فى قتل عبد الله بن أبى بن سلول، ذلك الرجل الذى لم تكن نفسه تهدأ حسداً لمحمد والمسلمين.

وقد أحس ابنه "عبد الله بن عبد الله بن أبى" وهو مسلم بأن محمداً لا ريب أمر بقتل أبيه بن أبى فذهب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وقال: "يا رسول الله إنه بلغنى أنك تريد قتل عبد الله بن أبى فيما بلغك عنه فإن كنت فاعلاً فمرنى به فأنا أحمل إليك رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها من رجل أبرّ بوالده منى وإنى لأخشى أن تأمر به غيرى فيقتله فلا تدعنى نفسى أنظر إلى قاتل أبى يمشى فى الناس فأقتله، فأقتل رجلاً مؤمناً بكافر فأدخل النار".

ما أبلغ هذه العبارة على إيجازها فى قوة التعبير عن حالة نفسية تضطرب فيها أقوى العوامل فى النفس أثراً وتضطرب فيها عوامل البر بالأب وصدق الإيمان والنخوة العربية والحرص على سكينة المسلمين حتى لا تتواتر الثورات بينهم.

أى جلاد بين الإيمان والعاطفة والخلق أشد من هذا الجلاد ؟ !..

وأية مأساة نفسية أفنك بصاحبها من هذه المأساة... أفندرى بم أجاب النبى صلى الله عليه وسلم عبد الله بعد أن سمع قوله : إنا لا نقتله بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقى معنا " .

يا لروعة العفو وجلاله ! محمد يترفق بهذا الذى يؤلب أهل المدينة عليه وعلى أصحابه فيكون رفقه وعفوه أبعد أثراً من عقوبته لو أنه أنزلها به.

فاستنكر عمر ذلك فقال له صلى الله عليه وسلم : " كيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ؟ .

أى سماحة تلك وأى صفح..... ؟ ! .

هـ محمد وفضالة :

روى ابن هشام " أن فضالة بن عمير الليثي ^(١) أراد قتل النبى صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت عام الفتح، فلما دنا منه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفضالة ؟ !، قال : نعم، فضالة يا رسول

(١) ذكر هذه القصة ابن هشام فى سيرته، وأوردها ابن القيم فى زاد المعاد.

الله، قال ماذا كنت تحدث به نفسك ؟، قال : لا شئ كنت أذكر الله، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : أَسْتَغْفِرُ اللهَ، ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه، فكان فضالة يقول : والله ما رفع يده عن صدرى حتى ما من خلق الله شئ أحب إلى منه " .

٦- عبرة وعظة :

تلك ليست سجايا إنسان عادي يدعو إلى مبدأ يراه أو عقيدة قد تغيّرها إنها ليست إلا طبيعة النبوة وليست إلا من أثر تطلعه عليه الصلاة والسلام إلى هدف واحد فقط، هو أن تؤتّى هذه الدعوة ثمارها فيلقى ربه وهو عنه راض، وما أهون النكبات والآلام كلها في هذا السبيل. وقد تم....

وما أعظم الفرحة إذ يجتاز العبد تلك المفاوز كلها ويستقر عند هذا الهدف الجليل !.



وفى النهاية تبقى كلمة ...

لقد استطاع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بأخلاقه أن يقيم دولة إنسانية أرقى من أية دولة تقوم على أساس العرقية أو الثورات أو الجيروت العسكرى وصار لكل فرد من الحقوق بقدر ما عليه من الواجبات.... وضاعت الطائفية والعلو بالنسب والقهر العسكرى. ولم يبق إلا قوله تعالى : (إنما المؤمنون إخوة) ^(١) بما لها من حقوق وواجبات، طرداً وعكساً، فكل حق يقابله واجب وكل واجب يقابله حق وليس فى الناس سيد وعبد وإنما الكل فى الإسلام سواء إمتثالاً لقوله تعالى : (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير) ^(٢) وامتثالاً لقوله صلى الله عليه وسلم : " لا فرق لعربى على أعجمى إلا بالتقوى " .

وبأخلاقه صلى الله عليه وسلم دانت له مشارق الأرض ومغاربها بالحلم والعفو والصفح والبر والتسامح والمودة واللين والعدل والإنصاف والرحمة والعطف والصدق والأمانة والحياء والإيثار وصدق الشاعر حين قال .

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت .. فإن هم ذهبوا أخلاقهم ذهبوا !!

(١) سورة الحجرات الآية ١٠ .

(٢) سورة الحجرات الآية ١٣ .

من أقوال

رسول الإنسانية محمد «صلى الله عليه وسلم»

تتمة للفائدة المرجوة من إلقاء الأضواء على خلق رسول الإنسانية
«محمد» صلى الله عليه وسلم على النحو الذى فرغنا للتو من بيانه.
فقد رأيت إيراد الأربعين حديث النووية كملحق يثرى الكتاب
وينهل من زاده أحباء رسول الله صلوات ربي وسلامه عليه.

مقدمة الإمام النووي

رحمه الله تعالى

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾

[قرآن كريم]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، قَيَّومُ السموات
والأرضين ، مدبر الخلائق أجمعين ، باعث الرسل
صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين إلى المكلفين
لهدايتهم ، وبيان شرائع الدين ، بالدلائل القطعية
وواضحات البراهين .

أحمده على جميع نعمه ، وأسأله المزيد من فضله
وكرمه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له

الواحد القهار ، الكريم الغفار ، وأشهد أن سيدنا
محمداً عبده ورسوله وحبيبه وخليله أفضل المخلوقين ،
المكرم بالقرآن العزيز المعجزة المستمرة على تعاقب
السنين ، وبالسنن المستنيرة للمسترشدين ، سيدنا
محمد المخصوص بجوامع الكلم وسماحة الدين ،
صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر النبيين
والمرسلين ، وآل كل وسائر الصالحين .

أما بعد : فقد روينا عن علي بن أبي طالب ،
وعبدالله بن مسعود ، ومعاذ بن جبل ، وأبي الدرداء ،
وابن عمر ، وابن عباس ، وأنس بن مالك ، وأبي
هريرة ، وأبي سعيد الخدري - رضي الله عنهم -
من طرق كثيرة ومن روايات متنوعة : أن
رسول الله ﷺ قال : « مَنْ حَفِظَ عَلَى أُمَّتِي أَرْبَعِينَ
حَدِيثًا مِنْ أَمْرِ دِينِهَا بَعَثَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي زُمْرَةِ الْفُقَهَاءِ
وَالْعُلَمَاءِ » ، وفي رواية : « بَعَثَهُ اللَّهُ فَقِيهًا عَالِمًا » ،

وفي رواية أبي الدرداء : « وَكُنْتُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَافِعاً
وَشَهِيداً » ، وفي رواية ابن مسعود : « قِيلَ لَهُ ادْخُلْ مِنْ
أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتَ » ، وفي رواية ابن عمر : « كُتِبَ
فِي زُمْرَةِ الْعُلَمَاءِ وَحُشِرَ فِي زُمْرَةِ الشُّهَدَاءِ » .

واتفق الحفاظ على أنه حديث ضعيف وإن كثرت
طرقه ، وقد صنف العلماء - رضي الله عنهم - في هذا
الباب ما لا يُحصى من المصنفات .

فأول من علمته صنف فيه عبد الله بن المبارك ،
ثم ابن أسلم الطوسي العالم الرباني ، ثم الحسن بن
سفيان النسائي ، وأبو بكر الأجري ، وأبو بكر بن
إبراهيم الأصفهاني ، والدارقطني ، والحاكم ،
وأبو نعيم ، وأبو عبد الرحمن السلمي ، وأبو سعيد
الماليني ، وأبو عثمان الصابوني ، وعبد الله بن محمد
الأنصاري ، وأبو بكر البيهقي ، وخلائق لا يحصون من
المتقدمين والمتأخرين .

وقد استخرت الله تعالى في جمع أربعين حديثاً
اقتداءً بهؤلاء الأئمة الأعلام وحفاظ الإسلام - وقد اتفق
العلماء على جواز العمل بالحديث الضعيف في فضائل
الأعمال ، ومع هذا فليس اعتمادي على هذا
الحديث ، بل على قوله ﷺ في الأحاديث الصحيحة :
« لِيُبْلَغَ الشَّاهِدُ مِنْكُمْ الْغَائِبَ » ، وقوله ﷺ : « نَضَرَ
اللهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتي فَوَعَاها كَمَا سَمِعَهَا » .

ثم من العلماء من جمع الأربعين في أصول
الدين ، وبعضهم في الفروع ، وبعضهم في الجهاد ،
وبعضهم في الزهد ، وبعضهم في الآداب ، وبعضهم
في الخطب ، وكلها مقاصد صالحة رضي الله عن
قاصديها .

وقد رأيت جمع أربعين أهم من هذا كله ، وهي
أربعون حديثاً مشتملة على جميع ذلك ، وكل حديث
منها قاعدة عظيمة من قواعد الدين ، قد وصفه العلماء

بأن مدار الإسلام عليه ، أو هو نصف الإسلام أو ثلثه ،
أو نحو ذلك ، ثم ألتزم في هذه الأربعين أن تكون
صحيحة ، ومعظمها في صحيحي البخاري ومسلم ،
وأذكرها محذوفة الأسانيد ، ليسهل حفظها ويعم
الانتفاع بها إن شاء الله تعالى ، ثم أتبعها بباب في
ضبط ما خفي من ألفاظها .

وينبغي لكل راغب في الآخرة أن يعرف هذه
الأحاديث لما اشتملت عليه من المهمات واحتوت عليه
من التنبيه على جميع الطاعات ، وذلك ظاهر لمن
تدبره ، وعلى الله اعتمادى وإليه تفويضي واستنادي ،
وله الحمد والنعمة وبه التوفيق والعصمة .



إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ

١ - عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي حَفْصٍ عُمَرَ بْنِ
الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ
اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ
أَمْرٍ مَنَوَى .

فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى
اللَّهِ وَرَسُولِهِ .

وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا
فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ » .

رَوَاهُ إِمَامَا الْمُحَدِّثِينَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ
إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ بَرْدِزْبَةِ الْبُخَارِيُّ الْجُعْفِيُّ ، وَأَبُو الْحُسَيْنِ
مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسْلِمٍ الْقُشَيْرِيُّ النَّيْسَابُورِيُّ فِي
(صَحِيحَيْهِمَا) اللَّذَيْنِ هُمَا أَصْحُ الْكُتُبِ الْمُصَنَّفَةِ .

بيان الإسلام والإيمان والإحسان

٢ - عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَيْضاً ، قَالَ : يَتَنَمَّا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ ، شَدِيدُ سَوَادِ الشُّعْرِ ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ الشَّقَرِ ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ ، وَقَالَ : « يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ » .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا » .

قَالَ : « صَدَقْتَ » .

فَعَجِبْنَا لَهُ ، يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ !
 قَالَ : « فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ » .
 قَالَ : « أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ
 وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ » .
 قَالَ : « صَدَقْتَ » .
 قَالَ : « فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ » .
 قَالَ : « أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ
 فَإِنَّهُ يَرَاكَ » .
 قَالَ : « فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ » .
 قَالَ : « مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ » .
 قَالَ : « فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا » .
 قَالَ : « أَنْ تَلِدَ الْأُمَةُ رَبَّتَهَا ، وَأَنْ تَرَى الْحَفَاةَ
 الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ » .
 ثُمَّ انْطَلَقَ ، فَلَبِثْتُ مَلِيًّا ، ثُمَّ قَالَ : « يَا عُمَرُ

أَتَذِيرِي مَنِ السَّائِلُ ؟ » .
قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَغْلَمُ .
قَالَ : « فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ ، أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ » .
رَوَاهُ مُسْلِمٌ .



أركان الإسلام

٣- عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ
الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ
اللَّهِ ﷺ يَقُولُ :

« بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا
اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ
الزَّكَاةِ ، وَحَجِّ الْبَيْتِ ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ » .
رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .



الأعمال بهم الأتيها

٤ - عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ - : « إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةً ، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ ، فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ ، وَيُؤَمَّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ : يَكْتُبُ رِزْقَهُ ، وَأَجَلَهُ ، وَعَمَلَهُ ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ .

فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلٍ أَهْلُ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا .
وَأَنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ

بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ
أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا .
رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .



إبطال المنكرات والبدع

٥ - عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أُمِّ عَبْدِ اللَّهِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ » .

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .
وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ : « مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ » .

* * *

الْحَلَالُ بَيْنَ وَالْحَرَامِ بَيْنَ

٦ - عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنَ ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ .

فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ .

وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ - كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى ، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ .

أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ؛ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ » .

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

الدِّينُ النَّصِيحَةُ

٧- عَنْ أَبِي رُقَيْةَ تَمِيمِ بْنِ أَوْسٍ الدَّارِيِّ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « الدِّينُ النَّصِيحَةُ » .
قُلْنَا : لِمَنْ ؟

قَالَ : « لِلَّهِ ، وَلِكِتَابِهِ ، وَلِرَسُولِهِ ، وَلِأَنْئِمَةِ
الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ » .
رَوَاهُ مُسْلِمٌ .



حرمة المسلم

٨- عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ .

فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى .
رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

* * *

التخفيف بما استطاع

٩ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ صَخْرٍ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ :
« مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَاتُوا مِنْهُ
مَا اسْتَطَعْتُمْ ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُكُمْ كَثْرَةُ
مَسَائِلِهِمْ وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ »
رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

* * *

الاعتصام بالحلّال الطيّب

١٠- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا ، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ﴾ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ .

ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلُ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ : يَا رَبِّ ، يَا رَبِّ ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ ، وَغُلْدِي بِالْحَرَامِ ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لَهُ ؟ .

رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

التعويض عن الشبهات

١١- عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ
أَبِي طَالِبٍ سِبْطِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرِيحَانَتِهِ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمَا قَالَ : حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : « دَعُ
مَا يَرِيكَ إِلَى مَا لَا يَرِيكَ » .

رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ : حَدِيثٌ حَسَنٌ
صَحِيحٌ .



ترك حالا يعني المسلم

١٢ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَنْعِيهِ » .

حَدِيثٌ حَسَنٌ ، رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ هَكَذَا .

* * *

جمال الإيمان

١٣ - عَنْ أَبِي حَمْزَةَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، خَادِمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » .
رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

* * *

هرمة دم المسلم وأسباب إهداؤه

١٤ - عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا يَجِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِأَحَدِي ثَلَاثٍ : الثَّيْبُ الزَّانِي ، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمَفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ » .
رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

آداب إسلامية

١٥ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُتْ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ » .
رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

* * *

النهي عن الغضب

١٦ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ
لِلنَّبِيِّ ﷺ : أَوْصِنِي .

قَالَ : « لَا تَغْضَبْ » فَرَدَّدَ مِرَارًا ، قَالَ
« لَا تَغْضَبْ » . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ

* * *

الأمر بالإحسان للمدبوع والمعتول

١٧ - عَنْ أَبِي يَعْلَى شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « إِنْ اللَّهُ كَتَبَ
الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ ،
وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَةَ ، وَلْيُحَدِّثْ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ ،
وَلْيُيْرِخْ ذُبَيْحَتَهُ » .
رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

حسن الخلق

١٨ - عَنْ أَبِي ذَرٍّ جُنْدُبِ بْنِ جُنَادَةَ ،
وَأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ،
عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ ،
وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا ، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقِي
حَسَنٍ » .

رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ ، وَفِي بَعْضِ النُّسخِ :
حَسَنٌ صَبِيحٌ .



احفظ الله يحفظك

١٩ - عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : كُنْتُ خَلَفَ النَّبِيَّ ﷺ يَوْمًا ، فَقَالَ :
« يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ : احْفَظِ اللَّهَ
يَحْفَظْكَ ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ ، إِذَا سَأَلْتَ
فاسألِ اللَّهَ ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فاستعنْ بِاللَّهِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ
لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ .

وَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا
بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ - رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ ، وَجَفَّتِ
الصُّحُفُ .

رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .
وفي رواية غير الترمذي : « احفظ الله تجده »

أَمَامَكَ ، تَعَرَّفَ إِلَى اللَّهِ فِي الرُّخَاءِ يَعْرِفُكَ فِي الشَّدَّةِ ،
وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبِكَ ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ
يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ ، وَأَنَّ
الْفَرْجَ مَعَ الْكَرْبِ ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا .



الهياء من الإيمان

٢٠ - عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ عُقْبَةَ بْنِ عَمْرٍو الْأَنْصَارِيِّ
الْبَذَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنْ
مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأُولَى : إِذَا لَمْ تَسْتَحِ
فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ » .
رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .



قُلْ آمَنْتُ بِاللّٰهِ ثُمَّ اسْتَغْفِرُكُمْ

٢١- عَنْ أَبِي عَمْرٍو- وَقِيلَ : أَبِي عَمْرَةَ-
سُفْيَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ :
قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ
عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ .

قَالَ : « قُلْ : آمَنْتُ بِاللَّهِ ؛ ثُمَّ اسْتَغْفِرُكُمْ » .
رَوَاهُ مُسْلِمٌ .



الافتصاؤ على الفرائض يدخل الجنة

٢٢ - عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : أَرَأَيْتَ إِذَا صَلَّيْتُ الْمَكْتُوباتِ ، وَصُمْتُ رَمَضَانَ ، وَأَحْلَلْتُ الْحَلَالَ ، وَحَرَّمْتُ الْحَرَامَ ، وَلَمْ أَزِدْ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا ؛ أَأَدْخُلُ الْجَنَّةَ ؟
قَالَ : « نَعَمْ » .

رواه مسلم .
وَمَعْنَى « حَرَّمْتُ الْحَرَامَ » : اجْتَنَبْتُهُ ، وَمَعْنَى « أَحْلَلْتُ الْحَلَالَ » : فَعَلْتُهُ مُعْتَقِدًا جِلَّةً .



الإسراع في الخير

٢٣ - عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْحَارِثِ بْنِ عَاصِمٍ
الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :
« الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ ،
وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأَانِ - أَوْ : تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ ،
وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ ؛ كُلُّ
النَّاسِ يَغْدُو ، فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا ، أَوْ مُوبِقُهَا » .
رَوَاهُ مُسْلِمٌ .



تحريم الظلم

٢٤ - عَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ ، فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، أَنَّهُ قَالَ : « يَا عِبَادِي : إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي ، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا ؛ فَلَا تَظَالَمُوا . »

يَا عِبَادِي : كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ .

يَا عِبَادِي : كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمَكُم .

يَا عِبَادِي : كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ .

يَا عِبَادِي : إِنُّكُمْ تُحِطُّونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَأَنَا

أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً ؛ فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ .
يَا عِبَادِي : إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي ،
وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي .

يَا عِبَادِي : لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنُّكُمْ
كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ ، مَا زَادَ ذَلِكَ
فِي مُلْكِي شَيْئاً .

يَا عِبَادِي : لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنُّكُمْ
كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ
مِنْ مُلْكِي شَيْئاً .

يَا عِبَادِي : لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنُّكُمْ
قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ، فَسَأَلُونِي ، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ وَاحِدٍ
مَسْأَلَتَهُ ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ
الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ .

يَا عِبَادِي : إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُخْصِيهَا لَكُمْ ، ثُمَّ

أَوْفِيكُمْ إِيَّاهَا ؛ فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ ، وَمَنْ وَجَدَ
غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ .
رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

* * *

ذهب أهل الدثور بالأجور

٢٥- عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَيْضاً ، أَنَّ نَاساً مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأَجُورِ ؛ يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي ، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ .

قَالَ : « أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَدَّقُونَ ؟ إِنَّ لَكُمْ بِكُلِّ تَنْسِيحَةٍ صَدَقَةٌ ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ ، وَنَهْيٌ عَنِ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ ، وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ » .

قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهَوَتُهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ ؟ !!

قَالَ : « أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ ، أَكَانَ عَلَيْهِ
وِزْرٌ ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ ، كَانَ لَهُ
أَجْرٌ . »

رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

• • •

فصل الإصلاح بين الناس والعمل بينهم وإياهم

٢٦ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « كُلُّ سَلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلُّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ تَعْدِلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ صَدَقَةٌ ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ ، وَتُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ » .

رواه البخاري ومسلم .

* * *

البر حسن العال

٢٧ - عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطْلُعَ عَلَيْهِ النَّاسُ » .

رَوَاهُ مُسْلِمٌ .
وَعَنْ أَبِيصَةَ بْنِ مَعْبُدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : « جِئْتَ تَسْأَلُ عَنِ الْبِرِّ ؟ »
قُلْتُ : نَعَمْ ؛ فَقَالَ : « اسْتَفْتِ قَلْبَكَ ؛ الْبِرُّ مَا أَطْمَأْنَنْتَ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَأَطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ ، وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوَكَ » .

حَدِيثٌ حَسَنٌ ، رَوَيْنَاهُ فِي مُسْنَدِي الْإِمَامَيْنِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ،
وَالذَّارِمِيَّ بِإِسْنَادٍ حَسَنِ .

وجوب لزوم السنة

٢٨ - عَنْ أَبِي نَجِيجٍ الْعَرَبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : (وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَوْعِظَةً وَجِلَّتْ
مِنْهَا الْقُلُوبُ ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ .
فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنهَا مَوْعِظَةٌ مُودَّعٍ
فَأَوْصِنَا) .

قَالَ : « أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ
وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسِيرَى
اِخْتِلَافًا كَثِيرًا ، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ
الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ
الْأُمُورِ ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ » .

رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

والله أعلم

٢٩ - عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ :
قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ
وَيُبَاعِدُنِي عَنِ النَّارِ .

قَالَ : « لَقَدْ سَأَلْتُ عَنْ عَظِيمٍ ، وَإِنَّهُ لَيْسَ عَلَى
مَنْ يَسْرُهُ اللَّهُ عَلَيْهِ :

تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِي
الزَّكَاةَ ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ » .

ثُمَّ قَالَ : « أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ ؟ : الصَّوْمُ
جَنَّةٌ ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ
النَّارَ ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ » ، ثُمَّ تَلَا :
﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ حَتَّى بَلَغَ
﴿ يَعْمَلُونَ ﴾ .

ثُمَّ قَالَ : « أَلَا أَخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ » ؟ .

قُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ .

قَالَ : « رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ ، وَذُرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ » .

ثُمَّ قَالَ : « أَلَا أَخْبِرُكَ بِمَلَاكٍ ذَلِكَ كُلُّهُ » ؟
فَقُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ .

فَأَخَذَ بِلِسَانِي وَقَالَ : « كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا » .

قُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخِذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ ؟

فَقَالَ : « ثَكَلَتْكَ أُمُّكَ وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ - أَوْ قَالَ : « عَلَى مَنْأَخِرِهِمْ » - إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ » ؟ .

رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

حقوق الله تعالى

٣٠- عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُسَنِيِّ جُرْثُومِ بْنِ نَاشِرٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ
تَعَالَى فَرَضَ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا ، وَحَدَّ حُدُوداً فَلَا
تَعْتَدُوهَا ، وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا ، وَسَكَتَ عَنْ
أَشْيَاءَ رَحْمَةً لَكُمْ غَيْرَ نِسْيَانٍ فَلَا تَبْحَثُوا عَنْهَا » .
حَدِيثٌ حَسَنٌ ، رَوَاهُ الدَّارِقُطْنِيُّ وَغَيْرُهُ .



الزهد الحقيقي

٣١- عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ،
فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ذُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ
أَحَبَّنِي اللَّهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ .
فَقَالَ : « أَزْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبُّكَ اللَّهُ ، وَأَزْهَدْ فِيمَا
عِنْدَ النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ » .
حَدِيثٌ حَسَنٌ ، رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ وَغَيْرُهُ بِإِسَانٍ حَسَنٍ .



لَا ضَرَّ وَلَا ضَرَارُ

٣٢- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ سَعْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ سِنَانٍ
الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ :
« لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ » .

حَدِيثٌ حَسَنٌ ، رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ وَالْذَّارِقُطْنِيُّ وَغَيْرُهُمَا مُسْنَدًا .
وَرَوَاهُ مُرْسَلًا عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - فَاسْقَطَ أَبُو
سَعِيدٍ ، وَلَهُ طَرُقٌ يُقَوَّى بِغُضِّهَا بَعْضًا .



البينة على المدعي واليمين على من أنكر

٣٣ - عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، أَنَّ رَسُولَ
اللَّهِ ﷺ ، قَالَ : « لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ ، لَادَّعَى
رِجَالٌ أَمْوَالَ قَوْمٍ وَدِمَاءَهُمْ ، لَكِنِ الْبَيِّنَةُ عَلَى الْمُدَّعِي
وَالْيَمِينُ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ » .

حَدِيثٌ حَسَنٌ ، رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ هَكَذَا ، وَبَعْضُهُ فِي
(الصَّحِيحَيْنِ) .

* * *

النهي عن المنكر من الإيمان

٣٤- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،
قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « مَنْ رَأَى مِنْكُمْ
مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ
يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ » .
رَوَاهُ مُسْلِمٌ .



أخوة الإسلام

٣٥ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا تَحَاسَدُوا ، وَلَا تَنَاجَشُوا ، وَلَا تَبَاغَضُوا ، وَلَا تَدَابَرُوا ، وَلَا يَبِيعَ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا .
المُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ ، لَا يَظْلِمُهُ ، وَلَا يَخْذُلُهُ ، وَلَا يَكْذِبُهُ ، وَلَا يَحْقِرُهُ .
التَّقْوَى هَاهُنَا ، وَيُشِيرُ ﷺ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ -

« بِحَسَبِ أَمْرٍ مِنْ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ : دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِزُّهُ » .
رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

فصل الاجتماع
على تلاوة القرآن الكريم
وهي الذكر

٣٦- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنْ
النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ : « مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ
الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ .
وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ .

وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .
وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ .
وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ
طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ .

وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ
اللَّهِ ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ ؛ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ ،
وَعَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ
فِيمَنْ عِنْدَهُ .

وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ » .
رَوَاهُ مُسْلِمٌ بِهَذَا اللَّفْظِ .



فصل الله تعالى ووجهه

٣٧- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً ، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِثَّةٍ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ . وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً ، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ سَيِّئَةً وَاجِدَةً » .
رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي (صَحِيحَيْهِمَا) بِهَذِهِ الْحُرُوفِ .

فَانْظُرْ يَا أَخِي وَفَقَّنَا اللَّهَ وَإِيَّاكَ إِلَى عَظِيمِ لُطْفِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَتَأَمَّلْ هَذِهِ الْأَلْفَافَ .

وقوله : « عِنْدَهُ » إشارة إلى الاعتناء بها .

وقوله « كَامِلَةً » للتأكيد وشدة الاعتناء بها .

وقال : في السيئة التي هم بها ثم تركها : كَتَبَهَا
الله عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً ، فَأَكْثَرَهَا بِكَامِلَةٍ ، وَإِنْ عَمِلَهَا
كَتَبَهَا سَيِّئَةً وَاحِدَةً ، فَأَكْثَرَهَا بِوَاحِدَةٍ وَلَمْ يُؤَكِّدْهَا
بِكَامِلَةٍ .

فَللهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ سُبْحَانَهُ لَا نُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْهِ -
وبالله التوفيق .



العبادة الخالصة لله تعالى

وسيلة القرب والمحبة

٣٨- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ : مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْهُمَا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحَبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيذَنَّهُ . »

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .



التجاور من المعطي والناسي والمكره

٣٩- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، أَنَّ رَسُولَ
اللَّهِ ﷺ قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ
وَالنُّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ » .
حَدِيثٌ حَسَنٌ ، رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ وَابْنُ أَبِي حَتْمٍ وَغَيْرُهُمَا .



الدنيا وسيلة ومزودة للآخرة

٤٠ - عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبِي ، فَقَالَ : « كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ » .

وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ : إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصُّبْحَ ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ .
رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .



علامته الإيمان

٤١- عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ
الْعَاصِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ : « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعاً لِمَا
جِئْتُ بِهِ » .

حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ ، رَوَيْنَاهُ فِي كِتَابِ (الْحُجَّةِ) بِإِسْنَادٍ
صَحِيحٍ .



سَمِعَ مَغْفِرَةَ اللَّهِ تَعَالَى

٤٢ - عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : يَا ابْنَ آدَمَ : إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي .

يَا ابْنَ آدَمَ : لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ .

يَا ابْنَ آدَمَ : إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقَيْتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً .
رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

* * *

تصويب الأخطاء :

| الصفحة | السطر | الخطأ | الصواب |
|--------|-------|---------|---------|
| ٩ | ١١ | ذالكم | ذلكم |
| ١٥ | ٧ | يوسائل | بوسائل |
| ١٨ | ١١ | أثماً | آثماً |
| ١٩ | ١١ | لناس | الناس |
| ٣٠ | ٣ | شرتها | شرها |
| ٣٠ | ٩ | يتخلى | يخلو |
| ٣٤ | ١٥ | أ و | أو |
| ٤٠ | ٤ | خزائنك | خزائنك |
| ٤١ | ١ | شما | شيئاً |
| ٤٤ | ١٦ | ى يحبهم | يحبهم |
| ٤٥ | ١٤ | ممثلاً | ممثلاً |
| ٤٩ | ٢ | وأعدائه | وأعداؤه |
| ٤٩ | ٥ | فأستجاب | فاستجاب |
| ٥٢ | ٩ | بحله | بملة |
| ٥٣ | ٧ | والجراح | والجراح |
| ٥٣ | ٨ | اطمان | اطمان |

محتويات الكتاب

| الصفحة | |
|--------|--|
| ٧ | - اهداء |
| ٩ | - مقدمة |
| | الفصل الأول : نسبه صلى الله عليه وسلم وولادته ورضاعته |
| ١٣ | ١- نسبه |
| ١٣ | ٢- ولادته |
| ١٤ | ٣- رضاعته |
| ١٤ | ٤- حادثة شق الصدر |
| ١٥ | ٥- الحكمة من هذه الحادثة |
| | الفصل الثاني : خلق الرسول صلى الله عليه وسلم قبل البعثة |
| ١٧ | ١- حياة الرسول صلى الله عليه وسلم قبل البعثة حياة فضل وشرف |
| ١٧ | ٢- كان عزيزاً جداً أن تجد في العرب مثل محمد |
| ١٨ | ٣- حديث رسول الله عن نفسه عيرة وموعظة |
| ٢١ | ٤- سلامة العقيدة عند محمد |
| ٢١ | ٥- طابع محمد الوقار |
| ٢٢ | ٦- زواجه من السيدة خديجة |
| | الفصل الثالث : اشتراكه صلى الله عليه وسلم في بناء الكعبة |
| ٢٥ | ١- كلمة عن أهمية الكعبة وما جعل الله لها من قداسة وشرف |
| ٢٥ | ٢- اشتراك الرسول في بناء الكعبة |
| ٢٦ | ٣- تحقيق ما ذهب إليه بعض المستشرقين |
| ٢٧ | ٤- مدى حكمة النبي في تدبير الأمور |
| ٢٩ | الفصل الرابع : اختلاؤه في غار حراء |
| ٢٩ | ١- حياة النبي صلى الله عليه وسلم أمثل حياة |
| ٢٩ | ٢- الخلوة عن الخلق |
| ٣١ | ٣- وكانت البعثة بغار حراء |
| | الفصل الخامس : محمد وآل بيته |
| ٣٣ | ١- حلمه وبره |

| | |
|----|---|
| ٣٤ | ٢- رفقه ورعايته |
| ٣٦ | ٣- عدله وانصافه |
| ٣٦ | ٤- عطفه ورحمته |
| | الفصل السادس : زهد محمد |
| ٣٩ | ١- مجلسه |
| ٣٩ | ٢- فراشه |
| ٤٠ | ٣- طعامه |
| ٤١ | ٤- محمد قدوة سلوكية |
| ٤٣ | الفصل السابع : محمد وأصحابه |
| ٤٣ | ١- مجلسه |
| ٤٤ | ٢- حديثه |
| ٤٤ | ٣- مودته |
| ٤٤ | ٤- عطفه |
| ٤٦ | ٥- صلة القربى بأصحابه |
| ٤٧ | ٦- صفة النبوة |
| ٤٧ | ٧- صورة رائعة |
| | الفصل الثامن : محمد وأعدائه |
| ٤٩ | ١- محمد وقريش |
| ٥٢ | ٢- محمد وثقيف |
| ٥٧ | ٣- محمد واليهود |
| ٥٧ | ٤- محمد وعبد الله بن أبي سلول |
| ٥٩ | ٥- محمد وفضالة |
| ٦٠ | ٦- عيرة وعظمة |
| ٦١ | وفي النهاية تبقى كلمة |
| | (ملحق) |
| ٦٣ | من أقوال رسول الإنسانية محمد صلى الله عليه وسلم |

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

General Organization of the Alexandria Library (G.O.L.)
Bibliothèque d'Alexandrie

كتاب الراية

*** هذا الكتاب ***

لقد كان ميلاد رسول الإنسانية «محمد صلى الله عليه وسلم» مطلع النور للعالم وكان ميلاد أمة ودولة وحضارة. فهذه مكة تستقبل وليداً .. صاحبت ولائته إرهابات أن أمة جديدة قد ولدت سيتغير بها وجه التاريخ ..

كيف استطاع هذا الوليد أن يقيم دولة إنسانية تخلت بقيادته عن الفرقة والشقاق والخصام والافتتال إلى وحدة تقود وتسود؟

في هذا الكتاب يلقي المؤلف أضواء على خلق رسول الإنسانية «محمد صلى الله عليه وسلم» وكيف استطاع بإخلاقه أن يقيم دولة إنسانية دانت لها الأرضين من أدناها إلى أقصاها.

وهذا الكتاب باكورة سلسلة كتاب الراية شهرياً بإذن الله تعالى .

